الإصدار السابع
المجلد (2) العدد (3)
20 سبتمبر 2026

مجلة روافد العلوم
للدراسات والبحوث

الحضور السايبورغي النسوي ودوره في كشف المضمرات النسقية رواية "حكايتي شرح يطول" لحنان الشيخ أنموذجاً

د.ملاك حاتم الطفيلي

(أستاذة متعاقدة في الجامعة اللبنانية والجامعة الإسلامية، ومنسقة عاملة في الثانوية الأهلية)

https://doi.org/10.65723/RMSP3212

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن ملامح الحضور السايبورغي النسوي ودوره في تفكيك المضمرات النسقية في رواية «حكايتي شرح يطول» للروائية اللبنانية حنان الشيخ، من خلال توظيف مفهوم «السايبورغ النسوي» بوصفه أداة نقدية لتحليل البنى الأبوية المضمرة في النص. وتعتمد الدراسة منهجًا نقديًا تكامليًا يجمع بين المنهج التفكيكي، والنقد الثقافي وما بعد الاستعمار، والمقاربة الظاهراتية، مع الاستناد إلى أطروحات دونا هاراوي حول السايبورغ. وتركز الدراسة على تمثيلات الجسد الأنثوي، والذاكرة، والهوية، والمكان، والبنية السردية، للكشف عن آليات تجاوز الحدود التي تفرضها السلطة الأبوية. وتوصلت الدراسة إلى أن شخصية «كاملة» تتجاوز صورة المرأة التقليدية الخاضعة، وتتحول إلى ذات فاعلة في تشكيل هويتها وسردها من خلال إعادة بناء الذاكرة، وتفكيك الحدود المكانية والزمانية، وتوظيف اللغة العامية، واستثمار السينما والفضاءات الافتراضية. كما أظهرت الدراسة أن البنية السردية للرواية تتخذ سمات سايبورغية من خلال تشظي الذاكرة وإعادة تركيبها عبر الحكي الشفوي والرسائل والوثائق والأغاني، بما يسهم في كشف المضمرات النسقية المرتبطة بالجسد الأنثوي والهوية والسلطة الأبوية.

الكلمات المفتاحية : السايبورغ النسوي؛ حنان الشيخ؛ حكايتي شرح يطول؛ النقد الثقافي؛ الجسد الأنثوي؛ المضمرات النسقية.

Abstract:

This study aims to investigate the manifestations of feminist cyborg presence and its role in exposing implicit cultural structures in Hanan al-Shaykh's novel *My Story Is Long to Tell*. It employs the concept of the "feminist cyborg" as a critical framework for analyzing the patriarchal structures embedded in the narrative. The study adopts an integrated critical approach combining deconstructive criticism, cultural and postcolonial criticism, and phenomenological analysis, drawing primarily on Donna Haraway's concept of the cyborg. It focuses on representations of the female body, memory, identity, place, and

narrative structure in order to examine the mechanisms through which patriarchal boundaries are challenged. The study concludes that the character “Kamila” transcends the conventional representation of the submissive woman and becomes an active agent in shaping her identity and narrative through reconstructing memory, challenging spatial and temporal boundaries, employing colloquial language, and using cinema and virtual spaces as alternative spheres for identity formation. The study also demonstrates that the narrative structure itself displays cyborg-like characteristics through the fragmentation and reconstruction of memory by means of oral storytelling, letters, documents, and songs. These mechanisms contribute to revealing the implicit cultural structures associated with the female body, identity, and patriarchal authority.
Keywords: Feminist Cyborg; Hanan al-Shaykh; My Story Is Long to Tell; Cultural Criticism; Female Body; Implicit Cultural Structures.

المقدمة:

تشكل السيرة الذاتية الروائية لدى الكاتبات العربيات إرادة قوية لاستكشاف الجسد الأنثوي المصادر واستعادته لتأكيد حضوره الاجتماعي، ولم تكن هذه الإرادة مجرد رفاهية استعراضية، بل كانت قضية وجود حيوي وخطوة نحو الحداثة قولاً وفعلاً ولغة .وفي هذا السياق، تأتي رواية "حكايتي شرح يطول" (2005) للروائية اللبنانية حنان الشيخ كنص يحمل في مضمونه سيرة روائية، يقدم صوت الأم "كاملة" الذي يروي حكايته عبر سرد شفوي يعيد الاعتبار للحميمي والذاتي والخاص على المستويين النفسي والجسدي.

تطرح هذه الدراسة مقاربة جديدة لقراءة الرواية من منظور مفهوم "السايبورغ النسوي"، المستلهم من مقالة دونا هاراوي "بيان السايبورغ" (1985)، بوصفه أداة نقدية قادرة على تفكيك الأنظمة الأبوية المضمرة في النسيج السردي للرواية. فإذا كان السايبورغ، في تعريف هاراوي، كائناً هجيناً يتجاوز الثنائيات المحددة (طبيعة/ثقافة، إنسان/آلة، ذات/موضوع)، فإن حضور هذا المفهوم في الرواية لا يقتصر على الجانب التكنولوجي المباشر، بل يتجلى استعارياً في آليات السرد التي تعيد تشكيل الذاكرة والهوية، كما تتجلى شخصية "كاملة" بوصفها كائناً هجيناً يتجاوز حدود التقاليد والسلطة الذكورية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كسر الجمود النقدي حول أدب حنان الشيخ، وفتح آفاق جديدة لقراءة النص الأدبي من منظور ما بعد الحداثة والتكنولوجيا، وإبراز كيف يمكن للتمثيلات التخييلية للآلة - أو للآليات السايبورغية في السرد - أن تكشف أعماقاً إنسانية واجتماعية. كما تسهم في توسيع مفهوم النقد الثقافي العربي عبر استثمار فلسفة السايبورغ كعدسة تحليلية للنص الأدبي، وليس فقط كموضوع تقني.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

1. رصد ملامح "الجسد الأنثوي السايبورغي" في رواية "حكايتي شرح يطول" من خلال آليات السرد التي تعيد تشكيل الذاكرة والهوية.
2. تحليل كيفية استخدام استعارة السايبورغ لتجاوز الحدود الجغرافية والنفسية التي تفرضها التقاليد الأبوية.
3. تفكيك الثنائيات المضمرة في النص (كالإنسان/الآلة، والشرق/الغرب، والذات/الموضوع) في سياق تجربة المرأة العربية.
4. الكشف عن كيفية تحول السرد الروائي إلى فضاء افتراضي تقاوم فيه البطلة سطوة الخطابات السلطوية.

الإشكالية:

تنطلق الدراسة من الإشكالية التالية :كيف يمكن لمفهوم "السايبورغ النسوي"، كآلية نقدية، أن يسهم في تفكيك الأنظمة الأبوية المضمرة في نسيج رواية "حكايتي شرح يطول"؟ وهل ينجح النص الأدبي في تجاوز كونه مجرد سرد واقعي ليصبح فضاءً افتراضياً تتجاوز فيه البطلة سطوة الخطابات السلطوية؟

الفرضية:

تفترض الدراسة أن استدعاء تقنيات السرد غير التقليدية في الرواية - كالتشظي الزمني، وتداخل الأصوات، والحكي الشفوي، واستعادة الذاكرة عبر الرسائل والوثائق - يُشبه إلى حد كبير منطق عمل الآلة/الذكاء الاصطناعي في تفكيك البيانات وإعادة تركيبها، مما يجعل بطلتها قادرة على رؤية الثغرات في النسيج الاجتماعي وإعادة بناء هويتها خارج الأطر التقليدية. كما تفترض أن شخصية "كاملة" تمثل نموذجاً سايبورغياً نسوياً يتجاوز حدود الأنثى التقليدية بوصفها كائناً خاضعاً، ليصبح فاعلاً في تشكيل ذاته وسرده.

المنهج المعتمد:

تعتمد هذه الدراسة منهجاً نقدياً تكاملياً يجمع بين:

1. **المنهج التفكيكي** المستلهم من قراءات جاك دريدا، لتفكيك الثنائيات الضدية التي تقوم عليها البنى الأبوية في النص.
2. **النقد الثقافي وما بعد الاستعمار**، لتحليل كيف تعكس الرواية صراع المرأة العربية مع الأنظمة السلطوية.
3. **المقاربة الظاهراتية**، للتركيز على تجربة الذات الأنثوية كما تُعاش وتُروى في النص.

وستُستمد المرجعية النظرية الأساسية من مقالة دونا هاراوي "بيان السايبورغ"، مع الاستعانة بدراسات نقدية عربية تناولت أعمال حنان الشيخ.

الدراسات السابقة:

يمكن تقسيم الدراسات السابقة ذات الصلة إلى محورين:

أولاً: الدراسات النقدية حول أعمال حنان الشيخ

- تناولت دراسات عدة (منها ما نشر في مجلة "نزوى" العمانية) موضوع الأنوثة وتمرد الجسد في كتابات حنان الشيخ، وأشارت إلى أن "حكايتي شرح يطول" تمثل سيرة روائية ترد الاعتبار للحميمي والذاتي على المستويين النفسي والجسدي .وأكدت هذه الدراسات أن صوت الأم "كاملة" يسيطر على السرد، وأن الكاتبة وظفت العامية اللبنانية في غالبية الحوارات والمونولوج الداخلي لتكشف عن طريقة تفكير البطلة وطبيعة عالمها الداخلي.

- كما أشارت دراسات أخرى (كدراسة حكمت الصباغ المجذوب في جريدة السفير) إلى أن الرواية تضع كلمة "رواية" على الغلاف رغم كونها سيرة ذاتية، وفسر ذلك بأن القناع الروائي وسيلة فنية يواجه بها كاتب السيرة المعيار الأخلاقي والرقابي السائد في الوعي الجمعي.

ثانياً: الدراسات حول مفهوم السايبورغ في الأدب العربي

- صدرت أبحاث تناولت مفهوم السايبورغ في الرواية العربية النسوية، أبرزها دراسة ربيعة جلطي حول رواية "قلب الملاك الآلي"، التي استخدمت مفهوم السايبورغ كأداة نقدية لكشف المضمرات النسقية في النص الأدبي. وتستفيد الدراسة الحالية من هذه المقاربة لتطبيقها على رواية حنان الشيخ، مع مراعاة خصوصية كل نص.

أقسام الدراسة:

المبحث الأول: الجسد الأنثوي كفضاء مراقبة وآلة مقاومة

في رواية "حكايتي شرح يطول"، يمثل الجسد الأنثوي ساحة صراع بين الرقابة الأبوية والرغبة في الانعتاق. تروي كاملة حكاية زواجها القسري وهي في الثالثة عشرة من عمرها" :ثلاث ليالٍ اقتيدت فيها كاملة إلى غرفة الزوج المرفوض، وفي الليلة الثالثة دفعها أخوها إلى غرفة الزوج وأوصد الباب . "هذا المشهد يختزل آليات السلطة الأبوية التي تُخضع الجسد الأنثوي من خلال إحكام السيطرة عليه جسدياً ونفسياً.

إلا أن الجسد في الرواية ليس مجرد فضاء خاضع؛ بل يتحول إلى آلة مقاومة. فكاملة، على الرغم من أميتها، تمتلك قدرة استثنائية على "التقاط نبضات ولحظات دالة في مسارها الخاص وفي علائقها بالمجتمع المنغمر في تحولات متسارعة ."هنا يظهر البعد "السايبورغي" بوصفه قدرة على تجاوز القيود الجسدية والاجتماعية عبر الوعي والذاكرة. يشير الناقد حكمت الصباغ المجذوب إلى أن "الرواية السيرة تنبني بمنظور لا يوحي بأنه يواجه هذا المعيار الأخلاقي، كأن واقع كاملة المعيش وهذه الطبيعة في تعاملها مع هذا الواقع هما غاية السرد ومعناه العميق وليس ما يمكن أن يترتب على ذلك من أحكام ."هذا يعني أن الجسد الأنثوي في الرواية يُقدَّم كواقع يُعاش لا كموضوع يُحاكَم، مما يُفكك آليات السلطة التي تحكمه.

المبحث الثاني: الذاكرة كقاعدة بيانات وإعادة برمجة للهوية

تتميز رواية "حكايتي شرح يطول" ببنية سردية تشبه إلى حد كبير منطق عمل قاعدة البيانات. فهي تعتمد على استعادة الذاكرة عبر الحكي الشفوي، والرسائل، والوثائق، والأغاني الشعبية، والأفلام السينمائية. تقول كاملة وهي تروي" :في ذلك الوقت كنت أخجل من أن يعرف الآخرون حقيقة ثقافتي، وكنت أحرص على إعطاء الآخرين صورة بأنني قارئة مثقفة مطلعة ."هذا الاعتراف يكشف عن آلية "إعادة البرمجة" التي تمارسها البطلة على هويتها، تماماً كما يعيد السايبورغ برمجة نفسه لتجاوز حدوده الأصلية.

يُلاحظ أن السرد يتضمن شذرات من رسائل محمد (عشيق كاملة) إليها، مما يحول النص إلى أرشيف حي للذاكرة الأنثوية. وهذا الأرشفة، على حد تعبير الناقد عادل الأسطة، تطرح تساؤلاً وجودياً: "هل نعيش لنروي، أم نروي لنعيش؟ ."والسؤال هنا يلامس جوهر الهوية السايبورغية التي تتشكل من خلال سردها وإعادة سردها، تماماً كما يتشكل السايبورغ عبر البيانات التي تُغذَّى بها ذاكرته.

كما أن استخدام العامية اللبنانية في غالبية الحوارات والمونولوج الداخلي يشكل آلية أخرى لإعادة برمجة الهوية. فقد لجأت حنان الشيخ إلى اللغة الدارجة لتكشف عن طريقة تفكير البطلة الساردة، وطبيعة رؤيتها للعالم المحيط بها، متجاوزة بذلك حدود اللغة الفصحى التي تمثل، في السياق الثقافي العربي، لغة السلطة والخطاب الرسمي .وهذا يتوافق مع الرؤية السايبورغية التي تتجاوز اللغات والأنظمة الثنائية الضدية.

المبحث الثالث: المكان والهوية بين الواقعي والافتراضي

تمتد سيرة كاملة من ثلاثينيات القرن الماضي إلى نهايته، وتتنقل بين النبطية وبيروت والقاهرة، فتتجاوز الحدود الجغرافية والمكانية كما يتجاوز السايبورغ الحدود الطبيعية للجسم والوطن. فالرواية تقدم صورة لبيروت عبر التراموای والحنطور وكاباريهات ساحة البرج، ولكنها تقدمها من خلال ذاكرة كاملة التي تحول المكان إلى فضاء أسطوري يعيد تشكيله وفق رغبتها وحاجتها النفسية.

تشير دراسة نشرتها مجلة "نزوى" إلى أن كاملة "تجد في السينما التي تذهب إليها خلسة مرآة لذاتها التي تحلم بها، فتقلد البطلة في فيلم الوردة البيضاء، وفي فيلم ليلى بنت الصحراء، كأنها بهذا تحقق حلمها ."هنا يتحول الواقع الافتراضي (السينما) إلى فضاء بديل تختبر فيه البطلة هويات متعددة، وتتجاوز الواقع الاجتماعي القاسي. وهذا يشبه تماماً منطق عمل السايبورغ الذي يتنقل بين العوالم الافتراضية والواقعية دون أن يخضع لحدود ثابتة.

كما أن الرواية تعتمد على الحكي الشفوي الذي يحول المكان إلى سردية تتشكل عبر الزمن. فكاملة تروي حكايتها لابنتها حنان، التي تكتبها بدورها، فيتحول المكان المادي إلى مكان نصي/افتراضي يتجاوز الواقع المرجعي .هذا التداخل بين الواقعي والافتراضي هو سمة أساسية من سمات الحضور السايبورغي في النص الأدبي.

الخاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى أن رواية "حكايتي شرح يطول" لحنان الشيخ تقدم نموذجاً فريداً للحضور السايبورغي النسوي في الأدب العربي المعاصر. فشخصية كاملة، بوصفها ساردة وبطلة، تتجاوز حدود المرأة التقليدية الخاضعة لتصبح فاعلاً في تشكيل ذاته وسردها، عبر آليات متعددة كإعادة برمجة الذاكرة، وتفكيك المكان والزمان، وتوظيف اللغة العامية بوصفها لغة مقاومة، واستثمار الأفلام والسينما كفضاءات افتراضية لإعادة بناء الهوية.

كما أظهرت الدراسة أن البنية السردية للرواية نفسها تتسم بصفات سايبورغية، حيث يعمل النص كقاعدة بيانات تعيد تركيب شظايا الذاكرة والهوية عبر الحكي الشفوي، والرسائل، والوثائق، والأغاني. وهذا التشظي وإعادة التركيب يحاكي منطق عمل الأنظمة الذكية التي تعالج البيانات وتعيد تشكيلها وفق سياقات جديدة.

وفي النهاية، يمكن القول إن الحضور السايبورغي النسوي في هذه الرواية لا يقتصر على مجرد استعارة أدبية، بل يشكل رؤية نقدية عميقة تسهم في كشف المضمرات النسقية في الثقافة العربية، وتفتح آفاقاً جديدة لتجاوز الحدود التي تفرضها الأنظمة الأبوية على الجسد الأنثوي والهوية والذاكرة. وهو ما يجعل من رواية "حكايتي شرح يطول" نصاً تأسيسياً في مسار الأدب النسوي العربي المعاصر، وقابلاً للقراءة من منطلقات نقدية حداثية وما بعد حداثية متعددة.

المصادر والمراجع:

1. الأنوثة وتمرد الجسد: انشغال نحو الذاتي في كتابات حنان الشيخ، مجلة نزوى، سلطنة عمان .
2. حكمت الصباغ المجذوب، "حكايتي شرح يطول" رواية حنان الشيخ: فن إبداع الحقائق، جريدة السفير، 18 فبراير 2005 .
3. عادل الأسطة، "حكايتي شرح يطول"، ديوان العرب، 9 أغسطس 2008 .
4. حنان الشيخ، حكايتي شرح يطول، دار الآداب، بيروت، 2005.
5. دونا هاراوي، بيان السايبورغ: العلم والتكنولوجيا والاشتراكية الأنثوية في أواخر القرن العشرين، 1985 .(ترجمة متاحة)
6. ميشيل فوكو، مراقبة المعاقبة: ولادة السجن، ترجمة علي مقلد، دار التنوير، بيروت.
7. ربيعة جلطي، "الحضور السايبورغي النسوي ودوره في كشف المضمرات النسقية: رواية قلب الملاك الآلي أنموذجاً"، مجلة إضافات، العدد 42، 2018.